

تفسير البحر المحيط

@ 82 @ ولأن ذلك في الزمان متقدم على ثواب الآخرة . قال قتادة وابن إسحاق وغيرهما :
ثواب الدنيا هو الظهور على عدوهم . وقال ابن جريج : هو الطفر والغنيمة . وقال الزمخشري :
ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعز وطيب الذكر . وقال النقاش : ليس إلا الطفر
والغلبة ، لأن الغنيمة لم تحل إلا لهذه الأمة . وهذا صحيح ثبت في الحديث الصحيح : (وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي) وهي إحدى الخمس الذي أوتيتها رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولم يؤتها أحد قبله . وحسن ثواب الآخرة الجنة بلا خلاف قاله : ابن عطية . وقيل :
الأجر والمغفرة . وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه ، وأنه هو المعتمد به عنده
{ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدِّينَارِ وَاللَّيْلَةُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } وترغيباً في طلب ما
يحصله من العمل الصالح ومناسبة لآخر الآية . قال علي : من عمل لدنياه أضرب بآخرته ، ومن
عمل لآخرته أضرب بدنياه ، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام . .
{ وَاللَّيْلَةُ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ } قد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم (الإحسان حين
سئل عن حقيقته في حديث سؤال جبريل : { إِنْ تَعْبُدُنِي * وَاللَّيْلَةُ * كَأَنَّكَ } وفسره
المفسرون هنا بأحد قولين ، وهو من أحسن ما بينه وبين ربه في لزوم طاعته ، أو من ثبت في
القتال مع نبيه حتى يقتل أو يغلب . .
{ الْمُؤْمِنِينَ يَأْتِيهِمُ الْبُخْرَاءُ } الذين آمنوا وإن تطيعوا الذين
كفروا يَرُدُّوكُمُ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ { الخطاب عام
يتناول أهل أحد وغيرهم . وما زال الكفار مثابرين على رجوع المؤمنين عن دينهم ، ودوا
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء . وودوا لو تكفرون ، لن تنفعكم { وَدَّ كَثِيرٌ
مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا } . {
وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُم } وقيل : الخطاب خاص
بمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) من المؤمنين يوم أحد . فعلى الأول علق على مطلق
طاعتهم الرد على العقب والانقلاب بالخسران وهذا غاية في التحرز منهم والمجانبة لهم ، فلا
يطاعون في شيء ولا يشاورون ، لأن ذلك يستجر إلى موافقتهم ، ويكون الذين كفروا عاماً .
وعلى القول الثاني : يكون الذين كفروا خاصاً . فقال عليّ وابن عباس : هم المنافقون
قالوا للمؤمنين لما رجعوا من أحد : لو كان نبياً ما أصابه الذي أصابه فارجعوا إلى
إخوانكم . وقال ابن جريج : هم اليهود والنصارى وقاله : الحسن . وعنه : إن تستنصخوا
اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغفونهم ، ويوقعون لهم الشبه ، ويقولون :

لو كان لكم نبياً حقاً لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم ، وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس ، يوماً له ويوماً عليه . .

وقال السدي : هم أبو سفيان وأصحابه من عباد الأوثان . وقال الحسن أيضاً : هو كعب وأصحابه . وقال أبو بكر الرّازي : فيها دلالة على النهي عن طاعة الكفار مطلقاً ، لكن أجمع المسلمون على أنه لا يندرج تحته من وثقنا بنصحه منهم ، كالجاسوس والخرّيت الذي يهدي إلى الطريق ، وصاحب الرأي ذي المصلحة الظاهرة ، والزوجة تشير بصواب . والردة هنا على العقب كناية عن الرجوع إلى الكفر . وخاسرين : أي مغبونين ببيعكم الآخرة . .
{ بَلِّغِ اللّٰهَ مَوْءُودَ لَكُمْ } بل : لترك الكلام الأول من غير إبطال وأخذ في كلام غيره .
والمعنى : ليس الكفار أولياء فيطاعوا في شيء ، بل اِ مولاكم . وقرأ الحسن : بنصب الجلالة على معنى : بل أطيعوا اِ ، لأن الشرط السابق يتضمن معنى النهي ، أي لا تطيعوا الكفار فتكفروا ، بل أطيعوا اِ مولاكم . .

{ وَهَؤُلَاءِ خَيْرٌ نَّاصِرِينَ } لما ذكر أنه مولاهم ، أي ناصرهم ذكر أنّه خير ناصر لا يحتاج معه إلى نصره أحد ، ولا ولايته . وفي هذا